وهل الإيمان إلا الحب ؟

(١٠)

حب
جميع المؤمنين

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

بَعْدَ أَنْ أدَّى الشَّبابُ صَلاةَ المَغْرِبِ والعشَاءِ جَمْعَ تَقْدِيمٍ ، خَلفَ الشَّيخِ (يحيى) التفتَ نَحوهُمْ وقالَ: ما هُوَ رَأيكُم: أَنتابِعُ السَّيرَ أَمْ نَسْتَريحُ قَليلاً!!

وكانَتْ غالبيَّةُ الأصواتِ أَنْ يَرْتَاحُوا قَليلاً ، فقامَ الشَّابُّ (حُسين) وجهَّزَ بعضَ أَنواع الفَواكهِ ثُمَّ غَسَلها وقدَّمها للوفْدِ.

خِلالَ ذلكَ بَدأَ الأُستاذُ (زَيْنُ العَابِدين) بالحَدِيثِ التَّالِي:

مَا رَأْيُكم أَنْ نَتذاكَر حَوْلَ مَسْأَلةٍ مُهمَّةٍ في الشَّريعَةِ الإسلاميَّةِ ، وَهِيَ مسألةُ حُبِّ المُؤمنينَ جَميعاً؟

قالَ الشَّيخُ (مُصطفَى): أَحفظُ حَدِيثاً نبوياً

مِنْ صَحيحِ الإمامِ مُسلمٍ: يَقولُ فِيه رَسولُ اللهِ ﷺ:

«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمنٍ كُربةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَةِ، ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليهِ فِي الدُّنيا والآخرةِ، ومن سترَ مُسلماً، سَترهُ اللهُ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ، واللهُ في عَونِ العَبْدِ ما كانَ العبدُ فِي عَونِ أَخيهِ».

لِذلكَ فالجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَملِ، كمَا قالَ رسولُ الله ﷺ:

«إِنَّما يَرحَمُ الله من عِبادِهِ الرُّحماءُ».

ما هِيَ أَفضلُ الأعمالِ؟

فقالَ الشَّيخُ (مُصطفَى): أَحسنتَ يا أُستاذ وَأنا أحفظُ حَديثاً نَبوياً في هذا المَجالِ، يقول

فيهِ رسولُ الله ﷺ: «أَفضَلُ الأعمالِ إلى اللهِ تَعالى: إِدْخَالُ السُّرور عَلى مُؤمنٍ، كَسَوْتَ عَوْرَتَهُ، أَوْ أَشْبَعْتَ جَوعَتَهُ، أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حاجَتَهُ».

لِذلكَ فَالطَّريقُ إلى أَنْ تُستجابَ الدَّعوةُ وتُكْشَفَ الكُربةُ أَنْ تُفرِّجَ عَنْ أَخيكَ كُربةً ما، وَقد قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وضعَ عَنْهُ، أَظلّهُ اللهُ فِي ظلّهِ يَوْمَ لا ظَلَّ إِلاَّ ظِلّه».

فَمحبَّةُ الأخِ المُؤْمِنِ لا تَعني أَنْ تُطْلقَ ذلكَ ضِمْنَ شِعاراتٍ لا تنزلُ إلى أرضِ الوَاقعِ، إِنَّما تَعْنِي مُساعدَتَهُ، وتَنفيسَ كُربتهِ، والسِّتر على عِيَالِهِ، وتَقْدِيْمَ المَشُورَةِ والمَعُونَةِ له، سواءً كانَ ذلكَ بالمَالِ أو الجَاهِ، أو كلّ ما يَعودُ

بالنَّفعِ عليكَ وعلى المُجْتَمعِ الصَّغيرِ وَهُوَ القَريَة.

وتَقدَّمَ الشَّابُّ الذَّكي (حُسين) وَأرادَ أَنْ يُشارِكَ في الحَدِيثِ ، فاسْتَأْذَنَ بِكلِّ أَدبٍ مِنْ مشايخهِ ، وأساتذتهِ ، فلمَّا أَذِنُوا لَهُ قال:

وَلقدْ طبَّق المُسْلِمُون ذلكَ كلَّهُ ، فَأَصْبَحَ مُجْتَمَعُنَا فَرِيداً، لا تَعْرِفُ فيه السَّيدَ مِنَ العَبْدِ..! وكانَ دَيْدَنُ الوَاحِدِ مِنْهُمُ التَّعاونَ والتَّسابقَ فِي خِدْمَةِ الفُقَراءِ والكِبارِ والأَرامِلِ و..

فَذاكَ الصِّدّيقُ (أَبُو بَكْرٍ) رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، بعدَ أَنْ تولَّى الخِلافَةَ ، كانَ يذهبُ إلى بَيْتِ عَجوزٍ مَريضةٍ يَحْلِبُ لها شَاتَها ، ويُنظِّفُ لَها بيتَها... أَهذا خَليفَةُ الأُمَّةِ؟!

وبعدَما ماتَ أَبو بَكرٍ ، وتَولَّى تِلكَ المهمَةَ عُمَرُ بن الخَطَّاب رَضيَ اللهُ عنهُ ، كانَ يَذهَبُ

إليها كلَّ ليلةٍ ، لكنَّ طَلحةَ ـ وكانَ شاباً ـ انتبَهَ إلى هذا الشَّيء الغَريبِ ، وتَساءَلَ فِي نَفْسِهِ: إلى أَينَ يَذهبُ عُمَرُ في مُنْتَصَفِ اللَّيلِ ، وفي تِلْكُمُ اللَّيْلَةِ قالَ فِي نَفْسِهِ : واللهِ لأراقِبنَّ عُمرَ إلى أين يَذهَب؟

وانطلَقَ وَراءَهُ مُتَخفِّياً ، حتَّى وصلَ إلى بيتٍ قَديمٍ ، فطرقَ البَابَ ودَخلَ ، وانتظرَ طَلحةُ حتَّىٰ خَرجَ عُمرُ ، فدخلَ البَيتَ فإذا بِهِ يَرىٰ امْرَأةً عَجُوزاً عَمياءَ مقعَدةً!!

فقالَ لها طلحةُ: مَاذا كَانَ يصنعُ هذا الرَّجُلُ عِندَكِ؟

قَالَتْ: هذا لَهُ أَكثرَ مِنْ تِسعِ سنواتٍ يَأتِيني فَيصلِح لِي بَيْتِي ، وَيملأُ لي أَوْعِيَةَ الماءِ ، ويُخرِجُ الأَذى مِن بَيتِي!

قالَ طلحَةُ: وَمَنْ هُوَ هذا الرَّجلُ؟

قالَتِ العَجُوزُ: لَسْتُ أَدْرِي.

فَقَالَ طَلحةُ: هذا واللهِ أَميرُ المُؤمنِينَ عُمر!!

وسألَ (حُسَين): وَلكن من أينَ تعلَّموا ذلكَ كلَّهُ؟!!

وَيُجيبُ الشَّيخُ (مُصطفى): لَقدْ تَعلَّمُوا كُلَّ ذلكَ من الأُسوةِ والقُدوَةِ ، مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ.

فَفِي مَكَّةَ المكرَّمةِ كانَتْ هُناكَ امرأةٌ كبيرةُ السِّنِّ ، وذَاتَ يوْمٍ كَانَتْ تَسيرُ فِي الشَّارِعِ المُزْدَحِمِ ، وتَحملُ أَغراضَها الثَّقيلةَ ، والتَّعبُ قَدْ أخذَ منها كلَّ مأْخذٍ ، كانَتْ تَحملُ الأَغراضَ وتَسيرُ قَليلاً ثُمَّ تَجْلِسُ لِتَستَرِيحَ ، وقُربها شابٌّ وَسيمٌ ، فَطلبَ أَنْ تَسمحَ لَهُ بِمُساعَدَتِها فَوافقَتْ ، فَحملَ الشَّابُّ الأَغراضَ على كَتِفِهِ ، وسارَتِ العَجُوزُ إلى جِوارِهِ ، وَلَمَّا وَصَلا إلى بَيْتِهَا ، وَضعَ الشَّابُّ الأغراضَ على الأَرضِ ،

فقالَتِ العَجُوزُ: كُنتُ أُريدُ أَنْ أُكافئكَ بِمالٍ وَنحْوَ ذلكَ ، لكنِّي رَأيتُ أَنَّ خَيرَ مُكافَأَةٍ لَكَ أَنْ أتقدمَ لكَ بنصيحةٍ تَتزوَّدُ مِنهَا الخَيرَ.

قالَ: هَاتِها يا هَذِه.

فقالَتْ: إذا سَمِعْتَ بِمُحَمَّدٍ بنِ عَبدِ اللهِ فلا تَجلسْ إليهِ وتَسمعْ إليهِ ، فَإنَّهُ شاعرٌ سَاحِرٌ كذّاب!.

فَتبسَّمَ الشَّابُّ وَقال لَها: وَلكنِّي مُحمَّد بن عَبدِ اللهِ ﷺ!!

ولكنْ كيفَ يحبُّ المؤمنُ المجتمعَ المؤمن كلَّه!؟

قالَ الأُستاذُ (نُورُ الهُدى): ولكنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ رَسمتِ العَلاقةَ بينَ أفرادِ المُجتمعِ المُؤمنِ ، فَفِي ذلكَ يقولُ الرَّسولُ ﷺ وَهوَ

يوجِّهُ الخِطَابَ لِكُلِّ المُؤمنينَ: «لا تحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بعضُكُم على بيعِ بَعضٍ، وكُونُوا عِباداً للهِ إخواناً، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يظلِمُهُ و لايَخذلُهُ، ولا يكذِّبُهُ، ولا يَحقِرُهُ، بِحَسبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحقرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرامٌ: دمُهُ ومالُهُ وعِرضُهُ».

ورفعَ (مُعتزٌّ) يَدَهُ وقالَ: ولكِنْ ماذا يَعْنِي هذا الحَديثُ النَّبويُّ؟

ويُتابِعُ الأُستاذ القَولَ:

أَي لا يجوزُ للمُؤْمِنِ أَنْ يتمنَّى زَوالَ النِّعمةِ عَنْ أَيِّ مُؤمنٍ، لأنَّ أوَّلَ الحَاسدينَ هُوَ إبليسُ وذلكَ حِينَ حَسَدَ آدمَ عليهِ السَّلام.

ولا يَجُوزُ للمُؤْمِنِ أَنْ يَزيدَ فِي سِلْعَةٍ مَعرُوضَةٍ للبيعِ، وَهُوَ لا يُريدُ شِراءَها.

ولا تَجُوزُ المُخَاصَمَةُ ولا الهَجْرُ ، وَذلكَ لأنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:

«لا يَحلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوقَ ثَلاثٍ ، يَلتقيانِ ، فَيصدُّ هذا ، ويصدُّ هذا ، وخَيرهُما الَّذي يبدأُ بالسَّلام».

فَالمُؤمنُ أخٌ لِلمُؤمنِ ، كَمَا قالَ اللهُ تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكَمَا قالَ ﷺ:

«وكونوا عِبادَ اللهِ إخواناً».

ولذلكَ حَرَّمَ الإسْلامُ الاسْتِهْزَاءَ والسُّخريةَ ، كَما قالَ تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾

[الحجرات: ١١].

أتُحبُّ الجَنّة؟!

وَقالَ الشَّابُّ (مُهتدي):

لقَد سَمِعْتُ من خَطيبِ الجُمعةِ مُنذُ فترةٍ قَولَهُ: قالَ رسولُ الله ﷺ لِيَزيد بن أَسدٍ القُشيرِيّ: «أَتُحِبُّ الجَنَّةَ»؟

قُلتُ: نَعَمْ.

فقالَ: «فَأَحِبَّ لأخيكَ ما تُحبُّ لِنَفْسِكَ».

وَهكذا، فالإسلامُ يُريدُنا أَنْ نُحبَّ بَعضَنا البَعضَ، وَأَنْ لا يَعتَدِي أَحدٌ على أَحدٍ، و.. ذلكَ مِن أَجْلِ أَنْ يَتحوَّلَ المُجْتَمَعُ إلى مُجْتَمَعٍ خَيِّرٍ فَاضلٍ، مِصْدَاقُ ذلكَ قولُ رسولِ الله ﷺ:

«مَثَلُ المُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ وَتَعاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسدِ إذا اشتَكَىٰ مِنْه عُضْوٌ

تَداعَى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى والسَّهرِ».

وقَولُهُ أيضاً: «لا يُؤمنُ أَحدكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيْهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

ولَقَدْ حَضَّ الخَطِيبُ على التَّعاونِ بَينَ أفرادِ المُجْتَمعِ.. سَواءً كَانَ ذلكَ في أُمورٍ دُنْيويةٍ أَوْ أُخْرَوِيَّةٍ ، لِيشملَ قَلبَ كُلِّ مُؤمنٍ الحُبُّ والرَّحمةُ للآخَرِينَ ؛ بَعيداً عَنْ كُلِّ ما يَضرُّ المُؤْمِنينَ ، كَما قالَ تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

المُؤمنُ مِرآةُ المُؤمن!!

واعتدَلَ الشَّيخُ (مُصطفى) ثُمَّ قال:

في سُننِ أَبي داودَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «المُؤمنُ مِرآةُ المُؤْمِنِ ، المُؤْمِنُ أَخُو المُؤمنِ:

يَكفُّ عنهُ ضَيعتَهُ ، ويَحوطُهُ مِنْ ورائِهِ».

وَفِي سُنَنِ البَيْهَقِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «المُؤمنُ مِنَ المُؤمنِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ يَألمُ الرَّأسُ بما يُصيبُ الجَسدَ ، وكذلكَ المُؤْمِنُ يَألمُ بِمَا يُصِيْبُ المُؤْمِنَ».

وَلِذلكَ لا يَجوزُ لِمُؤمنٍ أَنْ يَحتكرَ طَعاماً ، وَلا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُماطِلَ فِي دَيْنٍ ، ولا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُهينَ مُؤْمِناً أَو يُخيفَهُ أَوْ..!

وعلى كُلِّ مُؤمنٍ أَنْ يُشمِّتَ العاطِسَ مِنَ المُؤمِنينَ ، وأَنْ يُلْقِيَ عَليهِمُ السَّلامَ ، وأَنْ يَستأذِنَ عِندمَا يُريدُ الدُّخولَ إلى أحدِ البُيوتاتِ ، وأَنْ يَفرحَ لفرَحِهِم ، وَأَنْ يَحزنَ لحُزنِهِم ، وأَنْ يكونَ سَمْحاً في شرائِهِ وَبيعِهِ وتعاملِهِ مع المُؤمنينَ ، وَأَنْ يقدِّمَ النُّصحَ لكلِّ المُؤْمِنينَ ، وأَنْ يُكَافِئَ النَّاصحَ والمُعطِي و..!

اجعلْ كبيرَ المُسلمينَ عِندَكَ أَباً، وصغيرَهُمْ ابناً ، وأَوسَطَهُمْ أَخاً ، فَأَيّ أولئكَ تُحبّ أَنْ تُسيءَ إليهِ؟!.

وهذهِ الأخلاقُ الحَميدةُ والفضائلُ السَّاميةُ اقتبَسَها الصَّحابةُ وَالتَّابِعونَ من رسولِ الله ﷺ، وذلكَ عِندَما سألَهُ أحدُ الصَّحابةِ قائلاً: يا رسولَ الله أَخْبِرْني بِشَيءٍ يُوجِبُ لِي الجنَّةَ؟

فقالَ: «طيبُ الكَلامِ ، وبَذلُ السَّلام ، وإطعامُ الطَّعام».

وقالَ أيضاً: «مَا مِنْ مُسْلِمينِ يَلتقيانِ فَيَتَصافَحَانِ إلا غُفرَ لَهُما قَبلَ أَنْ يَفترِقا».

ثُمَّ رفعَ الشَّيخُ يديهِ يدعُو اللهَ ، والبَقيَّةُ يقولون آمين ، فقالَ: اللَّهُم حَسِّنْ أخلاقَنَا مع المُؤْمِنينَ وغيرِ المُؤْمِنين ، واجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مِمَّنْ

يُحبُّونَ أعمالَ البرِّ والخَيرِ، وأَبعدنَا عَنْ كُلِّ ما فيهِ سُوءُ الأخلاقِ وَعن مساوئها.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين